

البداية الصحيحة

أيها الرفاق والاخوة الاعزاء^(١)

عيد الطبقة العاملة يوحى بأفكار ومبادئ وقيم عزيزة وثمانية اذ يذكرنا بظهور حزبنا، بنشأته وبالعوامل العميقة والدواعي الانسانية التي كانت وراء ظهور هذا الحزب .

فلقد كان الخيار الاشتراكي من أهم الخيارات التي وضعتها الأجيال العربية الشابة قبل أربعة عقود من السنين هدفاً لها وتعبيراً عن وعي عميق للسمات الأساسية التي يجب ان تتصف بها النهضة العربية الحديثة . .

الاشتراكية خيار انساني

فالاشتراكية لم تكن بالنسبة الى تلك الاجيال خياراً اقتصادياً بالدرجة الاولى ، وانما كانت خياراً انسانياً وحضارياً يتصل بالقيم الانسانية والاخلاقية والحضارية التي قام عليها تاريخ الامة العربية والتي نلتقي بها في حضارة هذا العصر جنباً الى جنب مع نضال الشعوب في سبيل الحرية والكرامة والعدالة وبناء الحياة الجديدة، خيارنا الاشتراكي كان من اجل ان تصبح قوميتنا حقيقة حية فاعلة مبدعة لا ان تبقى كما كانت لفظة عاطفية ليس لها تأثير وفعل جدي في الحياة والتاريخ .

عندما لاتكون الجماهير الواسعة الكادحة المنتجة هي دعامة القومية فكأننا نكون قد حكمنا على امتنا بالتخلف والضعف والاندثار، عندما لاتكون الجماهير الشعبية الواسعة الكادحة هي الاساس للنهضة وللثورة فلن تكون الثورة مشروعاً

(١) كلمة خلال استقبال الوفود العمالية في ٤/٥/١٩٨١ .

حضارياً وتحولاً تاريخياً بل شيئاً سطحياً ووقتياً عديم الأشعاع.

العودة الى الشعب

العودة الى الشعب، العودة الى الجماهير، الى أعماق الجماهير، الى روحها وأخلاقها ومثلها العليا، هذه هي البداية الصحيحة لكل حركة ثورية أصيلة وعميقة ولأننا منذ البداية نهلنا من معين الشعب واستلهمنا روح الشعب، لم نختر اشتراكية مجردة وإنما كانت اشتراكيته حية مستقلة، من نتاج أرضنا، ومن حاجتنا ومن أخلاقنا، وكنا بذلك نستند الى حقيقة وهي ان الرجوع الى الاصله والى الخصوصية، خصوصية الشعب وقوميته وتاريخه هي الطريق الصحيح الى الانسانية، وليس العكس، ليس ان نبدأ بالافكار المجردة وأن نقسرها قسراً لكي تتطابق مع وسط لم يخلق له ولم تستوح من حاجاته، ذلك لان إرادة التجدد والتقدم في حزبنا كانت مقترنة منذ البدء بروح الاصله، وهكذا استطاع الحزب ان يسلك طريقاً طموحة طريقاً جريئة غير معبدة، طريق الاستقلالية التي كانت رهانا على المستقبل، ومجازفة قائمة على الثقة العميقة بالامة وباصالتها، وبالانسان العربي وباستعداده اللامحدود للشورة والتجدد والتقدم، كما كانت قائمة على الثقة بالانسانية وبعمق نزوعها الى الحرية، بان الشعوب عندما يستلهم كل منها طريقه الخاص الصادق فلا بد ان تصل كلها الى صعيد مشترك وتلتقي لقاء حراً لا اصطناع فيه ولا قسر.

أيها الرفاق والاخوة الاعزاء

هذه الايام الخالدة التي نعيشها في العراق العظيم، عراق العروبة والبعث، جاءت لتعزز ثقتنا بتلك الافكار، بتلك المبادئ، بذلك الطموح، بأن هذه الطريق التي اختطها الحزب والتي أراد ان تكون تعبيراً عن إرادة الامة وحرية الشعب وأعمق حاجاته وتطلعاته، نجدها الان فعلاً قد حققت صورة رائعة فريدة من حيث تطابقها مع الرؤية الاولى التي راودت الحزب عند بداية نشوئه، هذه اليقظة عند مجموع الشعب، هذا الانسجام بين الشعب وبين المبادئ، والافكار، هذا الاندفاع، هذه الحالة الايجابية التي لا تتحقق الا في فترات نادرة في حياة الشعوب، أليست حالة

تستحق ان يتوقف عندها الاخوة العرب والرفاق التقدميون في العالم الذين نشترك وياهم في المباديء وفي التطلعات الانسانية؟ هذه حالة نعتقد ان فيها خيراً لامتنا كلها، وان فيها خيراً وانموذجاً وحافزاً وإضافة للنضال الثوري الانساني كله .

عندما تفرض على الشعب حالة الحرب دون ان يريدتها، وعندما يأتي الاستفزاز والتحرش ومحاولة التخريب ليستهدف وضعاً كوضع العراق في ظل ثورة الحزب في هذا القطر وفي طورها الناضج المشرق السخي بالعتاء الواعد بعتاء أكبر وبانجازات اعظم، عندما يأتي الاستفزاز والتخريب لينال من تجربة ثورية من هذا النوع، تتميز عن مجموع الاوضاع العربية المؤسفة المحزنة وتكون هي التي تعيد للجماهير العربية ثقتها بنفسها وبالمستقبل، هل تكون محاولة تخريب هذه التجربة بدافع خير وبوحي الحكمة والعقل النير أم انه التعصب الاعمى والجهل والتخلف يثير عنعنات ومشاكل آن للامة ان تتجاوزها، وقد تجاوزتها في كثير من أجزائها، وأن للامة العربية ان تدفن مثل هذه العقليات وان تتطلع الى النور والى التقدم .

قائد تاريخي

لذلك قلت بأن الحرب فرضت على هذا القطر، وان العراق يحارب دفاعاً عن النفس وعن أرضه، وعن تجربته التي بناها وغذاها من عرق الجماهير الكادحة سنين طويلة امضتها في بناء هذه التجربة، في ظل هذا الحزب القومي التقدمي، وفي ظل قيادة تاريخية، وقائد تاريخي، جمع الشجاعة الى الحكمة، وجمع البسالة والبطولة الى العقلانية والعلمية، فكان دفاع العراق هو ايضا عن مستقبل الامة العربية، عن شخصيتها وعن هويتها، عن دورها الحضاري، عن حقها في التحرر والتقدم وتجاوز مرحلة العقلية الغيبية المتخلفة المريضة .

شيء ايجابي ثمين في الحياة العربية

وها هو العراق في دفاعه يحقق على امتداد ثمانية أشهر، النصر تلو النصر باندفاع شعبي اتمنى لو أن كل العرب يُتاح لهم ان يشاهدوه، وان يعيشوه، وان يلمسوه عن قرب، فهل هذه الحالة هي حالة عادية يمكن ان يتجاهلها العرب ويتناسوها، ام انها شيء ايجابي ثمين في الحياة العربية جدير بأن تحميه القلوب والافئدة، جدير بان

يتنادى العرب من مشرقهم الى مغربهم لكي يرعوه ولكي يحتضنوه لانه منهم واليهم ،
لانه لمستقبلهم؟

ليس هذا شيئاً عادياً، ليس نصراً تحقق في أيام ثم انتهى ، هو نصر عربي مبين
يترسخ على امتداد ثمانية اشهر، ويزداد رسوخا، ويزداد قوة، ويزداد نصوعا، ويقول
لامة العرب: هذه هي امكاناتك وقدراتك عندما تتحررين من الاوضاع الفاسدة
المصطنعة، هذا هو مستقبلك، انتصار لا يعرف التراجع .
أي مقياس أيها الرفاق والاخوة أصح من مقياس الشعوب، واردة الشعب،
وعاطفة الشعب؟ هذا هو أصح مقياس، وصدق مقياس على مر العصور وفي كل
البلدان وفي مختلف المجتمعات دوما، فهل يستطيع الحاكم الذي يعلن الحرب
على شعبه، ويعيش حالة حرب دائمة مع شعبه، هل يستطيع ان يحارب العدو؟ فاذا
قيل لنا هذا نظام تقدمي فنسأل كيف هي علاقته بالشعب؟ واذا لم تكن علاقته علاقة
ايجابية، علاقة حب عميق وتعاطف وتسابق في العطاء والابداع فتكون تلك التقدمة
تقدمة مزورة .

تنتظرنا معركة فاصلة

اننا ننتظر معركة فاصلة نعرفها كلنا، نعرف اعداءنا ولم نقل بأن هذه المعركة
التي فرضت علينا في الوقت الحاضر هي المعركة المصيرية للامة العربية، نعرف بأن
معركتنا المصيرية هي في فلسطين، معركتنا ضد الصهيونية والامبريالية
وكل اعداء الحرية والتقدم والسلم، هذه هي المعركة الفاصلة، ولكن كيف نصل
اليها وكيف نوفر الحد الأدنى لشروطها اذا لم نبرهن على توافر هذا الانسجام بين
الحكم وبين الشعب، على توافر هذا المناخ الصحي النظيف الذي تطمئن اليه روح
الشعب فتعطي بدون حساب وتمنح البطولات والمعجزات لانها تكون قد وثقت
وأجبت، فاذا كنا نريد ان نختصر الطريق الى تحرير فلسطين فلنبدأ بتوفير مثل هذه
الاجواء لان الحكم الذي لا يتصلح مع شعبه يكون عمليا قد تصالح مع العدو او
هادنه او تواطأ معه .

بدأنا البداية الصحيحة

البداية الصحيحة هي في المصالحة مع الشعب، في الانسجام مع الشعب،
اننا نشعر بأننا بدأنا البداية الصحيحة والتهيئة الجدية لمعركة المستقبل ولايخالفنا
شك في ان ضمير الامة الحي المتيقظ يرى ويميز ويقف الى جانب الحق وفي صف
الحياة الجديدة المبدعة.

٤ أيار ١٩٨١